الفصل الثالث

العهد الروماني

بعد أن أصبحت روما من أقوى دول البحر الأبيض المتوسط، وبعد أن فرضت تفوقها العسكري البحري، بدأت تسحب البساط من تحت الجيوش الهيلينية البرية، حيث في النهاية سقطت أثينا بيد روما سنة ٨٦ قبل الميلاد، وبعد أن استطاعت روما أن تنهي حروبها الداخلية مع الإيطاليين، الذين في النهاية حصلوا على حق المواطنة الرومانية، وأن تستعيد هيمنتها على إيطاليا، وبعد أن استطاع سوللا أن يصبح سيد روما، وأن يعلن عن نفسه دكتاتورا سنة ٨٢ قبل الميلاد بعد حرب راح ضحيتها أعداد لا تحصى ممن لهم، وممن لا علاقة لهم، بتلك الحرب الأهلية، ولكن سوللا حاول سريعا غسل حمامات الدم من خلال حركة إصلاح تشريعية، وتنظيمية، وتنفيذية، داخل روما، وخارجها، بما فيها الولايات الخارجية، والأكثر غرابة في هذا الدكتاتور أنه قام بالاعتزال عن الحكم سنة ٧٩ قبل الميلاد، قبل أن يموت سنة ٧٨ قبل الميلاد، حيث اندلع صراع غير دموي على السلطة بين القادة العسكريين الأبرز كراسوس، وبومبي، ويوليوس قيصر، وقد حاول مجلس الشيوخ (السناتو) أن يرضي القادة العسكريين الثلاثة، ولكن الشاب الطموح بومبي الذي كان قد انضم إلى سوللا أثناء معمعة الحرب الأهلية، استطاع بحنكته، وبحسن حظه أن يصبح أكثر بروزا، من خلال تسديده الضربة الأخيرة للتمرد الأسباني سنة ٧٢ قبل الميلاد، كما أنه أيضا وجّه الضربة الأخيرة لثورة العبيد بزعامة سبارتاكوس (٧٣ - ٧١ق.م)، كما أنه استطاع تنظيف البحر الأبيض المتوسط من القراصنة.

وفي سنة ٦٦ قبل الميلاد انطلق بومبي نحو أسيا حيث استطاع أن ينتصر على مثراداتيس، ثم غزا أرمينيا وأخضعها لهيمنة روما، وتابع طريقه نحو سوريا التي كانت تعاني من حالة فوضى في عهد ملكها السلوقي أنطيوخوس الثالث عشر، وقام بومبي بعزله، وأعلن عن سوريا ولاية رومانية سنة ٦٤ قبل الميلاد (وكان شيشرون حينها يتبوأ منصب القنصل في روما)، وتابع بومبي طريقه نحو فلسطين التي كانت تعاني صراعاً على السلطة بين ابني الكسندر يناي، هوركانوس الثاني، وأرسطوبولس الثاني، وقد تسابق الأخوان إلى لقاء بومبي في دمشق سنة ٦٣ قبل الميلاد، كما زاره أيضا، وفي الوقت نفسه، وفد شعبي يهودي كهنوتي يطالب بعودة الحياة الدينية الكهنوتية، وهو الذي يتماشى مع مطامع روما، فوافق بومبي على طلبهم.

ولما وصل بومبي إلى أورشليم قام أنصار هيركانوس الثاني بفتح أبواب المدينة أمام قوات بومبي، بينما احتمى أرسطوبولس الثاني مع الكهنة في الهيكل، ولكن بعد حصار استمر لمدة ثلاثة أشهر تم أسره، ونُفي مع عائلته إلى روما، أما الكهنة الذين اعتصموا في

الهيكل فقد قام بومبي بقتلهم، وبذلك انتهى الصراع على السلطة في يهودا، وقد قام بومبي بجعل سوريا وحدة إدارية، ولكنه حافظ على تشكيلها الإقليمي السابق، التي حولها إلى وحدات إدارية رومانية، لكنه قام بتحجيم بعض هذه الوحدات، لا سيما منها تلك التي كان لها حراكية تاريخية مثل اليهودية، حيث قام برد المناطق التي كان الحشمونيون قد استولوا عليها، وأعادها إلى ممالكها القديمة، وقام بتعيين الحشموني هوركانوس الثاني كاهنا أعظم وقائدا للشعب مع صلاحيات مدنية محددة، وضيقة، بعد أن قلّص حدودها ودفّعها الجزية، وبذلك تحولت اليهودية إلى ولاية رومانية دون أي حرب.

وفي سنة ٦٠ قبل الميلاد عقد القادة الثلاثة (بومبي - كراسوس - قيصر) اجتماعاً سرياً صلحياً، وشكلوا أول حكم ثلاثي في التاريخ الروماني، والذي استمر قرابة ثلاث سنوات كانت الهيمنة فيها لمصلحة بومبي، وقد تغيرت تلك المعادلة في سنة في سنة ٥٣ قبل الميلاد، بعد أن أبيد كراسوس هو وجيشه في حربه مع الفرثيين، وهكذا لم يبق سوى قائدين رومانيين هما بومبي وقيصر.

أما بالنسبة لإقليم يهودا، ففي سنة ٥٧ قبل الميلاد جاء جابينوس والياً على سورية، وقد قام بتقسيم ولاية يهود إلى خمسة ألوية (أورشليم - أريحا - جيزر - حماتا - صفورية)، واستمرت الأمور هادئة في الولاية، وقد تغيرت الأمور بعد استلام يوليوس قيصر السلطة في روما سنة ٤٨ قبل الميلاد بعد صراع سياسي مع بومبي، والتي على إثرها نشبت الحرب الأهلية بينهما (٤٩ - ٤٤ق.م)، وكان اليهود قد وقفوا إلى جانب يوليوس فكافأهم بجعل مقاطعة يهودا ذات حكم ذاتي، وسلّم ابني أنتيباتر الأدومي، (فصائيل) حامياً أو واليا على أورشليم، و(هيرودوس) واليا على الجليل، واستمر دعم روما لهما حتى بعد اغتيال يوليوس قيصر ووصول كاسيوس إلى سورية، ومن بعده مارك أنطونيوس.

وفي تلك المرحلة برز على الساحة الفرثيون (البارثيون)، وهم قبائل بدوية يتحدثون لهجة فارسية، وكانوا ينتشرون جنوب شرق بحر قزوين، وقد استطاعوا أن يمدوا نفوذهم على بلاد ما بين النهرين، والتخوم الشرقية للدولة السلوقية، وقد تنافس الفرثيون مع قوات روما في السيطرة على التركة السلوقية، لا سيما بعد دخول بومبي إلى سوريا، وفي معركة بين قوات روما بقيادة كراسوس، التي قدمت لوضع حد للوجود الفرثي، وبين القوات الفرثية بقيادة سوريناس بالقرب من مدينة حران سنة ٥٣ قبل الميلاد، وقد استطاع الفرثيون إبادة الجيش الروماني في تلك المعركة، بل وقتلوا كراسوس نفسه في أثناء المفاوضات التي تلت المعركة، ولم تستطع روما أن تحجّم دور الفرثيين المتنامي في المنطقة، وحتى بعد اعتلاء بومبي سنة ٥٢ قبل الميلاد قمة السلطة في روما باعتباره قنصلا وحيدا، ولكن في سنة ٤٩ قبل الميلاد اندلعت حرب أهلية بين قيصر، وبومبي على السلطة استمرت حتى سنة ٤٤ قبل الميلاد، حيث استطاع قيصر في سنة ٤٨ قبل الميلاد أن يعلن عن نفسه ديكتاتورا، ثم نجح في أن يكون قنصلا بالانتخاب في نفس السنة، وفي معركة فارسالوس بين يوليوس قيصر، وبين بومبي، هُزمت قوات بومبي، وتشتت، وما كان من بومبي سوى إن يلتجئ إلى مصر البطلمية التي كانت تعاني نزاعاً على السلطة بين بطليموس الثالث، وأخته كليوبترا، حيث قام الجنود بأمر بطليموس الثالث عشر بقتل بومبي، وفي تلك الفترة وصل يوليوس ومعه حامية صغيرة إلى مصر قبل أن يعلم يوليوس بموت بومبي، وقد قامت القوات المصرية، التي اعتبرت قدوم قيصر هو نوع من الهيمنة الرومانية على مصر، بمحاصرة الحرس

الشخصي ليوليوس قيصر، وقد قام أنتيباتر الأدومي (وزير الكاهن الأعظم في مملكة يهوذا) بإرسال تعزيزات عسكرية إلى يوليوس حولت هزيمته إلى نصر، وبعد أن تزوج يوليوس قيصر من كليوبترا التي دعمها وأولاها العرش في مصر، عاد سنة ٤٧ قبل الميلاد إلى روما، وحصل على قرار تعيينه دكتاتورا لمرة ثانية، إلى جانب احتكاره لمنصب القنصل أيضا، واستمر في منصبه هذا حتى مصرعه يوم ١٥ آذار من سنة ٤٤ قبل الميلاد على يد بروتوس وكاسيوس.

كان يوليوس قد أله نفسه، وأنشأ معبدا للرحمة القيصرية، وقد كانت الفترة القيصرية فترة رخاء في روما، وفي كل الولايات الرومانية، كما أنشأ عدة مستعمرات رومانية في كل الولايات التي تدين لروما، وكان يحدد فترة اعتلاء المناصب في الولايات لفترة قصيرة، كي لا يستطيع صاحب المنصب أن يمسك بزمام الأمور بحيث يشكل خطرا في المستقبل، ولذلك وصف بأنه أعظم عبقرية سياسية عسكرية إدارية أنجبتها روما، كما وصف بأنه الشخصية التاريخية الثانية بعد الاسكندر المقدوني.

وبعد اغتيال يوليوس قيصر سنة ٤٤ قبل الميلاد، تولى السلطة في روما أنطونيوس، ولكن نجم أوكتافيوس ابن أخت يوليوس، وكان يوليوس قد أعلنه وريثا له، قد بدأ يلمع جماهيريا من خلال بذخه، كما استطاع من خلال أمواله الهائلة التي تركها له يوليوس أن يجنّد جيشا في يوغسلافيا، وقد خسر في محاولته الأولى دخول روما، إلا أن ذلك لم يثن من عزيمته، لا سيما وأن الكثير من جنود أنطونيوس كانوا يتركون معسكراتهم وينظمون إلى معسكر أوكتافيوس الذي استطاع أيضا أن يكتسب الكثير من المؤيدين له من مجلس الشيوخ، وفي النهاية دارت الدائرة السياسية، وتقلد أكتافيوس منصب القنصل سنة ٤٣ قبل الميلاد، وتحت ضغط الجيوش الرومانية أجبر كل من أنطونيوس، وأكتافيوس، ولبيدوس أن يشكلوا تحالفا واحدا، وأعلن الثلاثة، عن تشكيل حلف عسكري ضد الجيش الجمهوري بقيادة بروتيوس، وكاسيوس، وفي معركة فيليبي الحاسمة سنة ٤٢ قبل الميلاد بين الجيش الجمهوري بقيادة بروتيوس، وكاسيوس، وبين جيوش الحكومة الثلاثية بقيادة أكتافيوس، وأنطونيوس، انتصر كل من أكتافيوس، وأنطونيوس في المعركة الحاسمة والنهائية على الجيش الجمهوري، ولكن، وبعد قرابة سنتين، اندلع خلاف حاد بين الشريكين أكتافيوس، وأنطونيوس سنة ٤٠ قبل الميلاد، وصل إلى درجة اللجوء إلى السلاح، ولكن صلح برنديزي أصلح البين مؤقتا، بينما اندلعت سنة ٣٩ قبل الميلاد حرب مع سكستوس بومبي، وقد استطاع أكتافيوس إنهاءها لمصلحته في سنة ٣٦ قبل الميلاد.

وفي ذلك الوقت الاستثنائي استطاع الفرثيون خلسة أن يجتاحوا آسيا الصغرى سوريا (٤٠ - ٣٨ق.م) بزعامة لابينوس، ولم تقاوم الممالك السورية الفرثيين باستثناء مدينة صور، وقد انضم إلى الفرثيين أنطيغونوس الأخ الأصغر لأرسطوبولوس الثاني ابنا ألكسندر يناي، وقد قام الفرثيون بسحب الكهانة من هوركانوس الثاني ابن ألكسندر يناي أيضا، وشوهوه بقطع أذنيه، وأسروه، وأسكنوه في بابل (وقد سمح له هيرودوس بالعودة سنة ٣٦ قبل الميلاد، ثم أعدمه سنة ٣٠ قبل الميلاد)، وأُسر فصائيل بن انتيباتر الأدومي الذي انتحر على إثر ذلك، أما أخوه هيرودوس حاكم الجليل، فقد هرب إلى روما بعد أن وضع عائلته في قلعة ماسادا (مسعدة) على الشاطئ الغربي للبحر الميت، وفي روما تم تنصيب هيرودوس بن انتيباتر الأدومي (هيرود الأكبر) ملكا على يهودا سنة ٤٠ قبل

الميلاد - التي ما زالت تحت هيمنة الفرثيين - بدعم من صديقه المقرب أنطونيوس الذي قدّمه على أنه يعرف اليهود أفضل مما يعرفهم الرومان، كما يمكن الاعتماد عليه في أن يظل مواليا لروما، كما أنه الأقدر على الحفاظ على مصالح روما ضد أنطيغونوس بن ألكسندر يناي، وضد الفرثيين أعداء روما.

ولكن بعد أن هزم فنتيدوس باسوس، وهو أحد جنرالات أنطونيوس، الفرثيين سنة ٣٨ قبل الميلاد، عاد هيرودوس مع فرقتين رومانيتين وحاصر أورشليم لمدة خمسة أشهر (وفي تلك الفترة تزوج من مريم الحشمونية بنت سمعان رئيس الكهنة)، وعندما سقطت أورشليم التي كانت على ولائها الفرثي، أُعدم أنطيغونوس بن ألكسندر يناي بأمر من روما سنة ٣٧ قبل الميلاد، عقابا له على انضمامه للفرثيين، وتولى الحكم الملك المعين سابقا هيرودوس الكبير (٣٧ - ٤ق.م).

كان هيرود بن انتيباتر أدومياً متهوداً من أم عربية نبطية، وكان قد عُيّن من قبل يوليوس قيصر وبدعم من أبيه أنتيباتر حاكما على الجليل سنة ٤٧ قبل الميلاد، حيث أظهر جدارة قيادية عالية، بعد أن استطاع أن يقضي على عصابات اللصوص وقطاع الطرق، وكان يتصف بتفانيه في العمل، وبحزمه وبقبضته الحديدية، وبالجدارة العالية في خدمة روما.

ومن خلال تلك الصفات، وما أن تولى منصب الملك على اليهودية، استطاع هيرود أن يوسّع سلطته لتشمل كل فلسطين، وبدأ حكمه بإعدام خمسة وأربعين من أنصار الحشمونيين شنقا، كما أعدم بعض الحشمونيين أيضا، ولم يسلم منه حتى زوج ابنته، وقد صارع هيرود الأنباط العرب (أخواله) حسب رغبة صديقه انطونيوس (والذي كان ينفذ رغبة كليوبترا)، بعد أن أسس جيشا قويا مدربا ومنظما اعتمد فيه على التوازن بين اليهود، وبين المقاتلين المرتزقة.

قام هيرودوس بتقسيمات إدارية ناجحة ثبّتت أركان حكمه، ودرّت على خزينة الدولة المزيد من المال، وكان عهده عصر ثراء وتقدّم في كل مجالات الحياة، لقد عرف كيف يجمع الكثير من المال، وعرف كيف ينفقها أيضا، وكان هيرود شديد الحماس للهيلينية أكثر من الهيلينين أنفسهم.

وكانت سياسته متسامحة مع المعتقدات الدينية، ومع الأنماط الاجتماعية، فسمح للجميع بممارسة طقوسهم الدينية، وأعانهم على بناء معابدهم، وهذا ما شجع الكثير ممن تهودوا قسرا على العودة إلى دين آبائهم، ولكنه، وفي الوقت نفسه، كان يرفض ويكره الجبة الثقافية اليهودية، وكان يحاول أن يظهر أن الديانة اليهودية ديانة عالمية، وهذا ما كانت ترفضه المذاهب والجماعات اليهودية المتزمتة، ولذا لم يكن اليهود يحبونه، بل وكانوا يُعَدّونه حاكما أجنبيا، وعميلا لروما، لا سيما وأن معظم معاونيه كانوا من الإغريق والأدوميين، ولم يعط لليهود أي مناصب أو نفوذ سياسي في مملكته، على الرغم من أنه قرر أن يتزوج من مريم الحشمونية بنت سمعان رئيس الكهنة علّه يحظى بالقليل من رضى اليهود، ويكسب العائلة الحشمونية المعارضة لمصلحته.

وعلى الرغم من عدم وجود شعبية واسعة له، فقد استطاع أن يسيطر على مناحي الحياة في الولاية بقبضته الحديدية التي كان يضرب ويقمع بها دون أدنى رحمة كل أنواع المعارضة، ولم تسلم عائلته من قبضته الحديدية فقد قام، بتحريض من أخته سالومي التي

دبّرت عدة مؤامرات ضد عائلته ونسائه العشر، وبخاصة ضد زوجته مريم الحشمونية التي كانت تغار منها كثيرا، بإعدام زوجته مريم الحشمونية، وهي ابنة أهم معارضيه، والتي حملت لواء المعارضة ضد زوجها أيضا من خلال أبنائها وأخيها، والذي قام هيرودوس بإعدامه أيضا، وكان أكثر جزما، وحزما عندما أعدم ابنيه منها ألكسندر وأرسطوبولس، وأيضا أعدم ابنه أنتيباتر الذي كان بالتآمر مع عمه فيراروس قد دسّ لأبيه هيرود السم، وقد أُكتشف أمره، كما أعدم في مرحلة سابقة أرسطوبولس الثالث آخر الكهنة الحشمونيين، ولكن هيرود، بالوقت نفسه، كان سياسيا محنكا، وشديد الدهاء في معالجة بعض القضايا متبعا سياسة الترهيب والترغيب حسب الحاجة، وقد أوجز ذلك المؤرخ يوسيفوس بالقول: {لقد ضمن خضوع الشعب بطريقين: الخوف إذ كان عنيفاً في عقابه، وإظهار العطف الشديد في حالة الأزمات}.

كما ذكر يوسفوس أن هيرودوس كان في بعض الأوقات يلبس ثياب مواطن عادي، ويختلط بالجماهير كي يعرف رأي الناس به، لأنه كان شديد التخوف من أي مؤامرة تحاك ضده للاستيلاء على العرش، كما أنه قام بتأسيس شبكة واسعة من الجواسيس والمخبرين في طول البلاد وعرضها، لقد كان شديد الخوف على مملكته، ولذا لم يرحم أعداءه في الداخل، وقد اشتهر بتعطشه الشديد لسفك الدماء، كما قام بعدة أعمال دفاعية ضد أي خطر قد يأتي من الخارج، أو حتى من الداخل، وقام أيضا بتشكيل حرس شخصي مدرب ومتفان في ولائه، وهذا ما مكّنه من احتواء الجميع، فقد أضعف المعارضة وأحلّ توازنا بين سكان فلسطين اليهود وغير اليهود.

أما علاقته مع روما، فقد كان صديقا شخصيا لأنطونيوس الذي وقع في حب كليوباترا، والتي كانت تمقت، وتغار من هيرودوس كثيرا، ومن شهرته التي كانت على كل لسان داخل وخارج الإمبراطورية الرومانية، والتي جعلت أنطونيوس (بطلب من كليوبترا) يأمر هيرودوس بأن يتخلى عن بعض مدنه لمصلحتها، كما طلبت منه أن يأمر هيرودوس بإعلان الحرب على العرب الأنباط من أجل إضعاف الطرفين، لكن هيرودوس استطاع أن يحسم هذه الحرب سريعا لمصلحته، وكان أنطونيوس يحاول أن يخفّف من غيرة كليوبترا، ومن تحاملها على هيرودوس، وبعد أن انتصر أوكتافيوس على جيش أنطونيوس وحليفته كليوبترا، في معركة اكتيوم البحرية سنة ٣١ قبل الميلاد، والتي على إثرها انتحر انطونيوس، وعشيقته، وحليفته في الحرب كليوبترا في مصر، قام هيرودوس، على غير المتوقع، بالتأكيد على صداقته لأنطونيوس، وحزنه على ما أصابه، من خلال موقف أخلاقي إعلامي، الأمر الذي قدره أكتافيوس (الذي أصبح اسمه الإمبراطور أغسطس)، والذي بدل أن يعاقب هيرودوس، قام برد المدن التي كانت قد أخذتها كليوبترا منه، كما أضاف له مناطق أخرى من الجولان، وبذلك توسعت حدود مملكته أكثر مما كان.

كان هيرودوس داهية سياسيا، كما كان أيضا اقتصاديا محنكا يعرف كيف يحصل على المال بشتى الوسائل، وهذا ما سمح له أن يقوم بعدة أعمال بناء ذات فخامة في أورشليم، كان أهمها الهيكل الذي قام ببنائه بشكل لم يكن له مثيل، وتم بناؤه بخبرات مهندسين من صور، كما أنه أحاط المدينة بسور ما زالت بعض أجزائه قائما حتى الآن (حائط المبكى)، وكان على كل حاج أن يدفع نصف شيكل مقدس لخزينة الهيكل، وبسبب شهرة هيرود وشهرة هيكله، فقد كانت تأتيه التبرعات من أثرياء اليهود، ومن الشخصيات

العالمية وعلى رأسهم القيصر أغسطس والملك الفارسي أرتازكسيس، كما أنه قام ببناء البلاط والمسارح والحمامات والملاعب الرياضية والكثير من الحصون، وأعاد تشييد السامرة وحصّنها وأطلق عليها اسم سيبسطة، وهو اللفظ اليوناني لأوغسطس، وبنى مدينة قيصرية، ومدينة أنتيباتريس تخليداً لاسم أبيه، كما بنى عدة معابد (غير يهودية) خارج حدود يهودا كنوع من أعماله الإعلامية ليحظى بمزيد من الشهرة والعظمة، كما أنه قدّم معونات مالية للألعاب الأولمبية، كما كان أيضا يقدم المساعدات المالية للجماعات اليهودية خارج مملكته، ولكن هذا المجد الخارجي لحكم هيرودوس كانت تعكره المتاعب العائلية التي ظلت تحاصره وتضيق الخناق عليه، وترافق ذلك بفتور علاقته مع قيصر روما أغسطس، الأمر الذي جعله في سنيه الأخيرة شديد التوتر، متعكر المزاج، حتى أصبح يتصرف أحيانا كما لو كان مجنونا، وحسب ما يذكر يوسفوس قام هيرودوس، عندما شعر بدنو أيامه، باستدعاء وجهاء المملكة لمقابلته في أريحا، حيث أمر باعتقالهم، وأمر بقتلهم جميعا لحظة موته لتكون له مناحة كبيرة في البلاد، ولكن أمره لم ينفذ، وهكذا، في سنة ٤ قبل الميلاد مات هيرودوس، الذي وصفه أعداؤه بأنه تسلل إلى العرش كالثعلب، وحكم كالنمر، ومات كالكلاب.

وكان قبيل موته قد عيّن ابنه أرخيلاوس (من زوجته السامرية ملتاكي) ملكا في أورشليم، وابنه أنتيباس واليا على الجليل وهو الشقيق الأصغر أرخيلاوس، وابنه فيلبس على الجولان ومحيطها، وقد أقر أغسطس (أكتافيوس) هذا التقسيم احتراما لوصية هيرودوس، ولكن أغسطس فصل بين المقاطعات الثلاث وأتبعها مباشرة إليه.

وبعد ثورة، أو احتجاج شعبي على أرخيلاوس ابن هيرود، الذي كان يحكم كوالي على اليهودية والسامرة والأدومية، والذي ورث عن أبيه البطش دون الحنكة، والذي قام في أحد أعياد الفصح بقتل ثلاثة آلاف يهودي في الهيكل، وتحت ضغط التذمرات والشكاوى اليهودية ضده، قام إمبراطور روما بعزله، ونفيه إلى فينا في فرنسا سنة ٦ للميلاد، بعد أن حكم لمدة عشر سنوات، وعيّن بدلا عنه كوبونيوس حاكما رومانيا (ناظر) على أورشليم، وبذلك أصبحت يهودا ولاية رومانية، وبقي النظّار يحكمون أورشليم حتى ٧٠ للميلاد، حيث في تلك المرحلة ولدت المسيحية، وتم صلب المسيح يسوع الناصري.

أما بالنسبة لفيلبس الثاني (٤ق.م - ٣٤م) ابن هيرودوس من زوجته كليوبترا الأورشليمية، والذي تختلط سيرته أحيانا مع سيرة أخيه فيلبس الأول زوج هيروديا وأبي سالومي، وهو الأخ غير الشقيق من مريم بنت سمعان رئيس كهنة أورشليم، وكان هيرودوس قد حرم ابنه فيلبس الأول من الإرث لأنه كان ابن زوجته الخائنة التي تآمرت عليه، وكان فيليبس الثاني قد تزوّج من سالومي ابنة أخيه فيلبس الأول من زوجته هيروديا، وكان هيرود قد عين فيلبس الثاني واليا على الجولان التي كان أغلبية سكانها من السريان والرومان، وقد اتصف فيلبس الثاني بالهدوء والاعتدال والحكمة في حياته الشخصية، وسياسته العامة، ولذا كان محبوبا من قبل رعيته، وقد قام بعدة أعمال بناء، فقد أعاد بناء بانياس عند منابع نهر الأردن، وأطلق عليها اسم قيصرية فيلبس، كما بنى بيت صيدا ودعاها جولياس، ومات سنة ٣٤ للميلاد، بعد أن حكم لمدة ثمان وثلاثين سنة، حكماً اتسم بالعدل والهدوء، وأضيفت ممتلكاته إلى ولاية سورية الرومانية.

أما بالنسبة لأنتيباس الشقيق الأصغر لأرخيلاوس، والذي تم تعينه من قبل والده هيرود الأكبر واليا على الجليل وبيريه (وعاصمتها طبرية) والذي كان يتصف بشخصيته الثعلبية وبطموحاته الكثيرة، التي ترافقت مع خضوعه لنزواته الجنسية والإجرامية، والذي اشتهر تاريخيا بقتله ليوحنا المعمدان (النبي يحيى)، الذي كان يقوم بتعميد أتباعه في نهر الأردن، والذي ادعى أنه المسيح، ثم ادعى أنه المبشر بمجيء المسيح، وكان له شعبية واسعة، وخاصة في منطقة الجليل إلى درجة أن الملك أنتباس ابن هيرودوس كان يخشى من أن يتحول يوحنا إلى حقل السياسة، الأمر الذي قد يشكل خطرا على سلطته، وهذا هو السبب الرئيس وراء قرار سجنه في قلعة مخيروس في منطقة شرقي الأردن، ومن ثم قام بقتله، ويقال أن أنتيباس قام بقتل يوحنا المعمدان لأنه كان يجدف على أنتيباس بسبب علاقته، أو زواجه غير الشرعي من هيروديا، على الرغم من أن أنتباس كان قد تزوج من ابنة الحارث ملك الأنباط (أريتاس).

كانت هيروديا حفيدة هيرود الكبير، وابنة أخ أغريبا الأول، وكانت قد تزوجت من عمها (غير الشقيق لأبوها) فيليبس الأول ابن هيرودوس الكبير، وأنجبت منه ابنتها الشهيرة سالومي، وكان هيرودوس قد حرم ابنه فيلبس الأول من الإرث لأنه ابن زوجته الخائنة مريم الحشمونية، وكانت هيروديا قد فرت مع ابنتها سالومي من عند زوجها فيليبس الأول دون أن تحصل على طلاقها، والتجأت إلى أخ زوجها غير الشقيق أنتيباس، والذي أعلن زواجه بها، وقد اعترض يوحنا المعمدان على هذا الزواج، لأن الدين اليهودي يحرّم هذا الزواج مادام الأخ (الزوج الأول) على قيد الحياة، وهذا ما جعل هيروديا تحقد على يوحنا، وتسعى إلى قتله، وقد كان لها هذا في النهاية، ففي عيد ميلاد أنتيباس، قام الأخير بدعوة بعض الرومان من ذوي الشأن، إضافة إلى أعيان البلاد، ووجوه الجليل، لحضور احتفال يقام بتلك المناسبة، وفي الاحتفال، وبينما كانت الخمرة قد فعلت فعلتها، طلب أنتيباس من سالومي أن ترقص في الاحتفال، وقد اشترطت سالومي على رقصتها أن يقدم لها أنتيباس رأس يوحنا المعمدان (حسب تعليمات أمها هيروديا لها)، وقد كان لها ما طلبت، وقدم لها رأس يوحنا المعمدان سنة ٢٩ للميلاد، وبعد مقتله، وفي عهد أنتيباس، ومن ولايته، خرج يسوع الجليلي، والذي تم القبض عليه في أورشليم من قبل الناظر الروماني بيلاطس، وبصفته جليليا فقد تم تسليمه إلى أنتيباس الذي كان حينها بزيارة في أورشليم، إلا أن أنتيباس قام برده إلى بيلاطس، وفي النهاية تم صلبه، كما أتى في العهد الجديد، وقد شكّل أتباعه، وأتباع يوحنا المعمدان من الأسنيين الجماعة المسيحية الأولى.

وبعد أن تسلم كاليجولا (جايوس) عرش روما (٣٧ - ٤١م)، وفي سنة ٣٩ للميلاد سمع بسوء أخلاق أنتيباس، كما نمى إليه عن طريق أغريبا الأول (ابن أخ أنتيباس) أن أنتيباس قد تحالف سرا مع الملك الفرثي، ومع ضابط روماني كبير اسمه سيجانوس ضد الإمبراطورية الرومانية، وقد أقر انتيباس بخيانته عندما وقف بين يدي غاليغولا، والذي أمر بنفيه إلى مدينة ليون في فرنسا سنة ٣٩ للميلاد، وبذلك أصبحت مملكة هيرودوس بولاياتها الثلاث رومانية تخضع قضائيا لحكم السنهدرين، وإداريا لحكم النظّار الرومان.

وفي تلك الفترة بدأت المملكة الروحية للمسيحية تتوسع ببطء شديد تحت شعار (ما لقيصر لقيصر وما لله لله)، ولن أخوض في تفاصيل العلاقة بين اليهودية والمسيحة، ولكن بشكل عام بدأت المسيحية تنتشر بعيدا عن اليهودية، ولم تؤثر المسيحية كثيرا في الرؤية

الاستراتيجية لليهودية، لأن اليهود أصلا لم يعتبروا يسوع الناصري عيسى ابن مريم هو المسيح اليهودي المنتظر (المسيا أو الماشيّح)، بل اعتبروه المسيح الدجال (المهرطق الزنديق)، وبقوا، وما زالوا حتى هذا اليوم ينتظرون قدوم مسيحهم اليهودي الذي سيأتي ليجمع شملهم من شتات الأرض المدنسة، في الأرض المقدسة التي ستصبح كاملة هي الهيكل المقدس للعالم دون استثناء، وهي عاصمة العالم، وبدل أن يكون اللاويون هم الكهنة اليهود سيصبح كل اليهود هم كهنة العالم على الإطلاق، وكما أن اليهود سيقومون بخدمة الرب، فعلى العالم أجمع أن يقوموا بخدمة اليهود، وهكذا سيقوم المسيح بتسييد اليهود على العالمين، ومن هنا فقد رفض اليهود وبشدة مسيح المسيحية الذي جاء، حسب تصورهم، كي يهدم اليهودية، بل أن مجيئه كان السبب الرئيسي في تلقي اليهودية الضربة القاضية سنة ٧٠ للميلاد، والتي شتتهم في أنحاء العالم.

كان المذهب الصدوقي لا يؤمن بفكرة المسيح المنتظر، ولذا لم يولِ أتباع هذا المذهب المزيد من الاهتمام لدعوته، ولم يناصبوه العداء، كما كان الأمر بالنسبة لأتباع المذهب الفريسي، الذين يؤمنون بفكرة المسيح المنتظر، والذي سيجيء ليخلص اليهود فحسب من آثامهم، ومن معاناتهم، ويعيد لهم أمجادهم الغابرة، ويسيّدهم على العالمين، وهذا يختلف عما أتى به السيد المسيح عيسى ابن مريم الذي كان ذا رسالة إنسانية شاملة، الأمر الذي جعل الفريسيين يتآمرون عليه، ويقودونه في النهاية إلى الصليب تنفيذا لما جاء في الشريعة التوراتية «إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم... وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم» تثنية ١٣.

كانت الأمور هادئة نسبيا بعد موت أغسطس الأول سنة ١٤ للميلاد، وتولي طيبيريوس الحكم (١٤ - ٣٧م)، والذي على عهده، وبأمر من الناظر الروماني على ولاية اليهودية بيلاطس البنطي تم صلب السيد المسيح، وبينما راحت المسيحية تنشر معتقدها الأممي، على اعتبار أن المسيح جاء ليخلص بني الإنسان من خطيئة آدم الأصلية، بقيت الشؤون الدينية اليهودية في أورشليم بيد الكاهن الأكبر المؤيَّد بمساعدة مجلس الحاخامات (السنهدرين)، وما إن تولى عرش روما كاليغولا (جايوس) (٣٧ - ٤١م) حتى عيّن صديقه أغريبا الأول ابن أرسطوبولس ابن هيرودوس الكبير ملكا على مقاطعة عمه فيليبس الثاني، وعندما أله غاليغولا نفسه (الذي أصيب بالجنون) طلب إقامة مذبح له في اليهودية، وفي مدينة يبنى أقام السكان له مذبحا، فقام اليهود بهدمه، الأمر الذي جعل كاليغولا يستشيط غيظا، ويأمر بوضع صورة له محفورة على لوح من الذهب داخل هيكل أورشليم، ولكن أغريبا الأول، وأثناء وليمة أقامها في روما على شرف غاليغولا، استطاع (بمساعدة الخمرة) أن يثنيه عن قراره، وبعد مقتل كاليجولا على يد (كاريا) أحد حراسه، واعتلاء عمه كلوديوس عرش روما، تم تعيين أغريبا الأول (الذي ساند كلوديوس في اعتلائه العرش) ملكا رومانيا (دوكس) على مقاطعة يهودا كاملة سنة ٤١ للميلاد، وبذلك ورث مملكة جده هيرود عدا منطقة الأدومية.

كان أغريبا الأول ذو صفات أخلاقية جيدة، كما كان كريما محبا للظهور، وبليغا ذا شخصية قوية، ولأنه أدومي فكان، حريصا على إرضاء اليهود، على عكس جده هيرود، وفي سياق ذلك اضطهد الجماعات المسيحية الأولى حسب ما جاء في العهد الجديد، ولكن أغريبا مات بشكل مفاجئ سنة ٤٤ للميلاد، بعد أن حكم كملك على يهودا لمدة ثلاث سنوات، تاركا ثلاث بنات هن برنيكي ومريم ودورسيلا، وولداً وحيداً هو أغريبا الثاني، وعادت يهودا إلى سابق عهدها ولاية سورية يحكمها ناظر روماني.

كان أغريبا الثاني يقيم في روما، وتربى مع القيصر كلوديوس، ولما بلغ أغريبا الثاني من العمر الحادية والعشرين، عينه القيصر كلوديوس حاكما على خالكيس، ومشرفا أعلى على الهيكل اليهودي في أورشليم، واتخذ مقراً له في قيصرية فيلبس، ثم مُنح مملكة أكبر تقع إلى الشمال، والشمال الشرقي من فلسطين، ومنح لقب ملك روماني (دوكس) في سنة ٥٠ للميلاد.

وفي تلك المرحلة بدأت حمى الأفكار الخلاصية تستعر بين اليهود في فلسطين، والتي تبشر بمجيء المسيح ابن داود، وكثر المسحاء الذين كانوا يجولون في اليهودية، ومنهم يسوع بن حنانيا الذي كان يحذر الناس من قرب نهاية العالم، كما كان أيضا منهم ثيوداس الذي ادعى أنه المسيح المخلص، وقد التف حوله عدد غير قليل من المريدين، وقد انطلقوا وراءه نحو نهر الأردن كي يعبر بهم النهر كما عبر موسى وأتباعه البحر دون أن تبتل أقدامهم، لكن الحاكم الروماني لحق بثيوداس وبأتباعه، وقام بقطع رأسه قبل أن يصل النهر، وفرّق شمل مريديه، وترافق ظهور المسحاء في يهوذا، بانتشار مجموعة من القصص، والخرافات الشعبية عن حوادث خارقة، وعن حدوث معجزات، وقصص متنوعة عن المسيح، فالبعض كان يقول إن المسيح قد جاء وانتهى الأمر، وكانت تنتشر قصص عجائبه ومعجزاته، وهناك من قال إنه سيجيء عما قريب ، كما انتشرت فكرة مجيء مسيحين في آن واحد: مسيح مقاتل من سلالة يوسف وهو الذي سيعيد اليهود المشتتين في العالم، ومسيح آخر من سلالة داود وهو الذي سيجيء بالخلاص والسلام، وازدادت الفوضى والبلبلات والاضطرابات، وبدت المنطقة على شفير هاوية، لا سيما وأن التفاوت الطبقي قد وصل إلى حده الأقصى، حيث تشكلت طبقتان اجتماعيتان شديدتا التفاوت.

في النصف الأول من القرن الأول الميلادي كان هناك ازدهار وثراء في اليهودية، مع تشكل طبقتين، طبقة دينية أرستقراطية شديدة الغنى، وطبقة من عامة الشعب شديدة الفقر، وكان هناك الكثير من الضرائب التي لم تأخذ بالحسبان وضع الفقراء، و لا سيما ضريبة الخمس على المزارعين التي كانت تُدفع إلى خزينة الهيكل، الذي تحول إلى دولة داخل الدولة، والتي كان يشرف عليها أغريبا الثاني، وكان الهيكل يضم عددا كبيرا من الموظفين فيه.

وفي تلك الفترة فرضت الإدارة الرومانية ضريبة العقارات التي زادت من فقر الفقراء، والتي شاركت، مع انتشار فكرة اقتراب نهاية العالم، بانطلاق عدة توترات بين اليهود والحكم الروماني، وأتت القشة من الناظر الروماني فلوريس سنة ٦٦ للميلاد، الذي قام بسلب سبع عشرة وزنة من ذهب خزينة الهيكل سدادا لضرائب متراكمة، فانطلقت شرارة الثورة في ولاية اليهودية، وقد أتت هذه الثورة في سياق تمردات انطلقت في أرجاء المحيط الروماني، وكانت مدينة أورشليم هي رمز هذه التمردات لأنها كانت مدينة كبرى، وهي المدينة المنيعة بموقعها الجغرافي الحصين بين مجموعة من الوديان، والتلال، وخلف

سور ضخم مزود بـ ١٦٤ برج، ولم يستطع الناظر الروماني بجنده السيطرة على الوضع، ففر تاركا مدينة أورشليم، وولاية اليهودية بلا قانون، فدخلت إلى مدينة أورشليم الجماعات الثورية الريفية، وهاجمت الأسر الغنية والكهنوتية، وعلى أثرها فر أغريبا الثاني وأخته بيرنكي ابنا أغريبا الأول اللذان كانا مكروهين من قبل الشعب اليهودي، وبعد مدة دخلت الفصائل الثورية المسلحة بصراعات بينية، وانتشرت رقعة الحرب الأهلية.

وقد تم استدعاء قوات رومانية بقيادة فسبسيان، بأمر من نيرون إمبراطور روما، بعد عجز القوات المحلية عن السيطرة على الوضع العام، كما جاء جيش ثانٍ من الإسكندرية بقيادة تيتوس ابن فسبسيان، فهربت فصائل الجيش اليهودي الثوري الذي كان ينتشر في الريف إلى مناطق نائية، وحصينة، وقد التجأت بعض قيادات الثورة، مع بعض عناصرها إلى المغارات الحصينة في مرتفعات الجليل سنة ٦٧ للميلاد، والذي كان من بينهم سليل الكهنوت اليهودي يوسف فلافيوس (٣٧ - ٩٦م) المؤرخ اليهودي الشهير، والذي كان ضابطا، وقائدا في منطقة الجليل، والذي استطاع أن يهرب من المدينة التي كان يتحصن بها، والتي سقطت بيد الرومان، وتم قتل كل المدافعين عنها، وقد التجأ يوسف إلى إحدى المغارات التي كان يختبئ فيها أيضا أربعون رجلا من الأعيان، وقد تبنى يوسف فكرة الاستسلام إلى القوات الرومانية بعد أن جاءتهم دعوة بالاستسلام من صديق روماني له، إلا أنه اضطر إلى الخضوع للقرار الجماعي الذي رفض فكرة الاستسلام، ولما أحكم الجيش الروماني الحصار على تلك الجماعة الثورية، اتخذت القيادة الثورية قرارا بالانتحار الجماعي، خشية أن يباعوا عبيدا، وكذلك الأمر لم يستطع يوسف أن يقنعهم بالعدول عن الانتحار، وقد أوكل إليه ترتيب عملية الانتحار، بحيث يقوم الثوار بقتل بعضهم ضمن ترتيب محدد، وقد تم هذا الترتيب بالقرعة، ولكن يوسفوس الذي أشرف على عملية القرعة، أبقى دوره إلى الأخير كي يشرف على العملية حتى نهايتها، ولما لم يبق سواه وجندي آخر، قام يوسفوس بإقناع الجندي بأن يسلّما نفسيهما لقوات روما، حيث ارتد يوسفوس عن اليهودية، ومُنح، من قبل السلطة الرومانية، صفة المواطنية الرومانية لمساعدته في سقوط الجليل، وهكذا فقد قام يوسفوس بدور النبي إرميا في الحرب اليهودية الأولى، على اعتبار أن يوسفوس كان يدرك حجم وقوة الرومان، واستحالة وقوف يهودا في وجهها مهما تحلى اليهود بالشجاعة، ولكنه لم يستطع أن يقنع اليهود من الدخول في مغامرة التمرد على روما التي انتهت بسقوط أورشليم وتدمير الهيكل الثاني، كما لم يستطع النبي إرميا أن يقنع اليهود بالعدول عن التمرد على بابل، والتي انتهت بسقوط أورشليم، وبتدمير الهيكل الأول.

بعد موت نيرون انتحارا في سنة ٦٨ للميلاد، توقفت الحرب لمدة عام بسبب الصراع السياسي على عرش روما، والذي انتهى بتعيين فسبسيان إمبراطورا على روما، وكان حينها فسبيسيان ما زال في فلسطين، والذي ذهب مباشرة نحو الإسكندرية حيث تم تنصيبه هناك إمبراطورا على الإمبراطورية الرومانية، ثم سافر إلى روما ليعتلي عرشها، تاركا ابنه تيتوس قائدا للجيش هناك.

وقد استطاع تيتوس أن يسيطر على الحركة الثورية في الريف، ومن ثم توجه سنة ٧٠ للميلاد إلى أورشليم ليسدد الضربة الأخيرة إلى الثورة، أو التمرد اليهودي، وقام تيتوس بإحاطة أسوار أورشليم الحصينة، والتي كان قد بناها هيرود، بسور من الجنود الرومان، إضافة إلى قوة عسكرية قوامها ألف فارس، وخمسة آلاف من المشاة بعث بها ملك الأنباط مالكو الثاني بن الحارث الرابع (٤٠ - ٧١م) لمساندة تيتوس.

كما كان مع القوة الرمانية كتيبة يهودية بقيادة أغريبا الثاني ابن أغريبا الأول (شقيق بيرنكي عشيقة تيتوس) الذي كان قد فر إلى الإسكندرية مع أخته بيرنكي ومعه بعض الجنود اليهود في بدء الثورة، وعاد على رأس كتيبة يهودية مع جيش تيتوس، وكان إلى جانب تيتوس أيضا يوسفوس المؤرخ اليهودي الشهير، والذي وقف على جدار المدينة وخطب بالشعب اليهودي، وطلب منهم فتح الأبواب، والاستسلام مقابل الأمان لهم من تيتوس، وقد استطاع بعض أفراد الشعب الخروج من المدينة وانظمّوا إلى الرومان، لكن الكهنة والثوار رفضوا الاستسلام، ولما بدأ الرومان بقذف أبواب أورشليم بالمنجنيق لفتحها، وحسب رواية يوسفوس نفسه، قام اليهود بإشعال النيران في الهيكل، في الوقت الذي دخل فيه الجيش الروماني إلى المدينة بعد حصار استمر لمدة خمسة أشهر، وتابع الجيش الروماني إحراق المعبد بشكل نهائي، ولم يبق منه حجر على حجر، باستثناء قسم من الحائط الغربي الذي ما زال قائما حتى هذا اليوم (حائط المبكى)، كما أحرق الكثير من البيوت التي اختبأ فيها المتمردون، ويُقدّر عدد من قُتل من اليهود في تلك الحملة بـ خمسة وخمسين ألف إنسان، وكان يقدر عدد اليهود في فلسطين في تلك الفترة قرابة مليونين ونصف من أصل ثمانية ملايين في العالم، كان منهم مليون في سوريا وبابل ومصر وآسيا الصغرى، والباقي متناثراً في أنحاء العالم، وتذكر بعض المصادر أن من تم قتلهم في تلك الحرب قرابة ربع مليون يهودي، وإضافة إلى الأعداد الضخمة من القتلى، فقد قام تيتوس بأسر أعداد غفيرة أيضا، وقام ببيعهم كعبيد في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، واقتاد البعض منهم إلى روما من أجل موكب النصر، وهناك أجبر بعضهم أن يصارعوا بعضهم الآخر حتى الموت، كما أجبر البعض على مصارعة الحيوانات المفترسة في مسارح روما، وقد تم تشييد قوسي نصر في روما كي يمر تحتهما تيتوس (قاهر اليهود) ابن الإمبراطور فاسبيسيان وما يزال أحدهما قائما حتى هذا اليوم، أما ما تبقى من اليهود في ولاية اليهودية، فقد أجبروا على دفع ضريبة الهيكل في أورشليم إلى معبد جوبيتر في روما، التي التجأ إليها أغريبا الثاني وأخته بيرنكي، وماتا فيها.

أما بالنسبة للمتمردين، من اليهود الغيورين، الذين كانوا قد حاصروا قلعة ماسادا سنة ٦٦ للميلاد في بداية التمرد اليهودي، والتي تقع بالقرب من الشاطئ الغربي للبحر الميت بقيادة مناحم الجليلي، الذي اغتيل في القدس على يد المتمردين في مرحلة لاحقة، وكان الثوار الغيوريون قد وعدوا الحامية الرومانية بالأمان فيما لو استسلموا، ولما كان لهم ذلك، قام الثوار الغيوريون بالغدر بالحامية الرومانية وقتلوهم جميعا، ولما استطاع تيتوس القضاء على التمرد في اليهودية سنة ٧٠ للميلاد، بقي المتمردون متحصنين في القلعة بقيادة إليعازر بن يائير (بن جابر)، على الرغم من سيطرة القوات الرومانية على كامل ولاية اليهودية، ثم قامت قوة رومانية بقيادة فلافيوس سيلفا سنة ٧٣ للميلاد بحصار القلعة (الماسادا) لمدة ٧٣ يوما، وقد رفض المتمردون الاستسلام لأن مآلهم سيكون القتل، كما كانوا قد فعلوا بأفراد الحامية الرومانية حين استسلموا، وقد أقنع أليعازر بن يائير المتمردين أتباعه بالانتحار الجماعي بدل أن ينتقم منهم الرومان، وبعد أن أحرقوا المؤن، كي لا يستفيد منها الرومان، قام كل رجل منهم بقتل عائلته، ثم قام عشرة رجال بقتل من تبقى، ثم قام رجل بقتل التسعة ومن ثم انتحر، وبلغ عدد المنتحرين٩٦٠ إنسان، وقد نجا من هذه المجزرة امرأتان وأربعة أطفال، كانوا قد اختبؤوا، وهم الذين قاموا بنقل القصة التي أرخها يوسفوس (على ذمته)،

وهذه القصة التي رويت بطريقة أقرب إلى القصص الشعبي منه إلى الواقعية، ربما قام يوسفوس بتدبيجها، أو زخرفتها على أساس قصة حصار صور من قبل الفرس، وانتحار شعبها في مطلع القرن الرابع قبل الميلاد والتي سبق ذكرها، وما زالت حادثة ماسادا رمزا يهوديا مهما، وقد حولتها الصهيونية إلى أسطورة، وقامت سنة ١٩٦٩ للميلاد بدفن رمزي للمنتحرين.

وبعد هذه الضربة القاصمة استقرت الأمور في ولاية اليهودية، ولم يبق إلا القليل من الفقراء اليهود يعيشون في أورشليم، أما الأكثرية فكانوا يعيشون في الأرياف، وقد تحلّلت أكثر الفرق الدينية (الصدوقيون والأسنيون والغيوريون)، وتبنى الربانيون (المعلمون الفريسيون) القيادة الروحية لليهود، وشكلوا محفلا لهم في بلدة يمنيا على ساحل البحر المتوسط، ومن محفلهم تأسست الشريعة الشفوية (التلمود) وتشكّلت اليهودية التلمودية التي أسقطت أسفار الأبوكريفا (الأسفار غير القانونية).

واستمرت الحياة مستقرة وهادئة في يهودا في عهد الإمبراطور نيرفا (٩٦ - ٩٨م)، في الوقت الذي شهدت أرجاء متعددة من الإمبراطورية الرومانية بعض الحركات الثورية اليهودية ضد الحكم الروماني، ابتدأتها الجالية اليهودية في ليبيا سنة ١١٥ للميلاد في عهد الإمبراطور الروماني تراجان (٩٨ - ١١٧م) الذي عانت في عهده الإمبراطورية الرومانية من حالة ضعف خلال حربه ضد الجرمانيين والغاليين، ثم انتشرت حركات التمرد إلى مصر وقبرص، وبنغازي، ومدن ما بين النهرين وقد تم قتل الآلاف من الرومان، واليونان، كما تم قمعها بشكل وحشي لا رحمة فيه، وقد وصلت حركات التمرد إلى مقاطعة يهودا في عهد الإمبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨م) سنة ١٣٢ للميلاد، وعلى الرغم من أن هادريان حاول أن ينظم جباية الضرائب التي كانت تشكل سببا مهما في اندلاع التمردات، كما أنه كان يتجاوب بمرونة مع التذمرات الشعبية في الأقاليم المترامية الأطراف، ولكن هادريان كان أشد قسوة من تراجان على الجماعات اليهودية و لا سيما في اليهودية، وهو الذي أمر، أثناء زيارته للمنطقة، ببناء مدينة يونانية (إيليا كبتولينا) على أنقاض مدينة أورشليم، كما أمر ببناء معبد لجوبتر على أنقاض هيكل أورشليم، وقد نصّب تمثالا له وهو يمتطي حصانه عند قدس الأقداس، فقامت ثورة يهودية بقيادة الكاهن شمعون باركوخبا الذي اعتبره البعض حينها أنه المسيح المنتظر، والذي دخل القدس، مع الجماهير الغاضبة، وذبح المستوطنين الرومان، وأعلن اليهودية مقاطعة مستقلة استمرت ثلاث سنوات (١٣٢ - ١٣٥م)، وقد قام شمعون باركوخبا بإجبار المسيحيين على الختان والارتداد عن المسيحية إلى اليهودية، وردا على ذلك قام القائد العسكري يوليوس سفيريوس بشن حرب استنزاف ضد التمرد، واستطاع قمع حركة باركوخبا بشكل تدريجي، ابتداء بالريف الذي قام بتدمير ٩٨٥ قرية فيه، وانتهاء بأورشليم التي دخلها سنة ١٣٥م، وقبض على قادة التمرد، وقام بتسويتها بالتراب، في النهاية استولى على قلعة بيتار آخر الحصون اليهودية، وقتل فيها باركوخبا.

وتقدر بعض المصادر عدد من تم قتلهم من اليهود في هذا التمرد بـ ٨٠٠ ألف إنسان، وبعض المصادر الأخرى تقدر عددهم بـ ٥٨٠ ألف إنسان، أما ما تبقى منهم فقد تم بيعهم عبيدا في سوق النخاسة (وكان ثمن العبد اليهودي أقل من ثمن الحمار)، وحرّم، في إثر تلك الأحداث، على اليهود القيام بشعائرهم الدينية في أورشليم، وتم بناء مدينة فوق

أساسات أورشليم وأسموها (إيليا كابيتولينا)، وبنهاية شمعون باركوخبا المسيح الأخير في يهوذا، بدأت المسيحية تنتشر في فلسطين، والعالم.

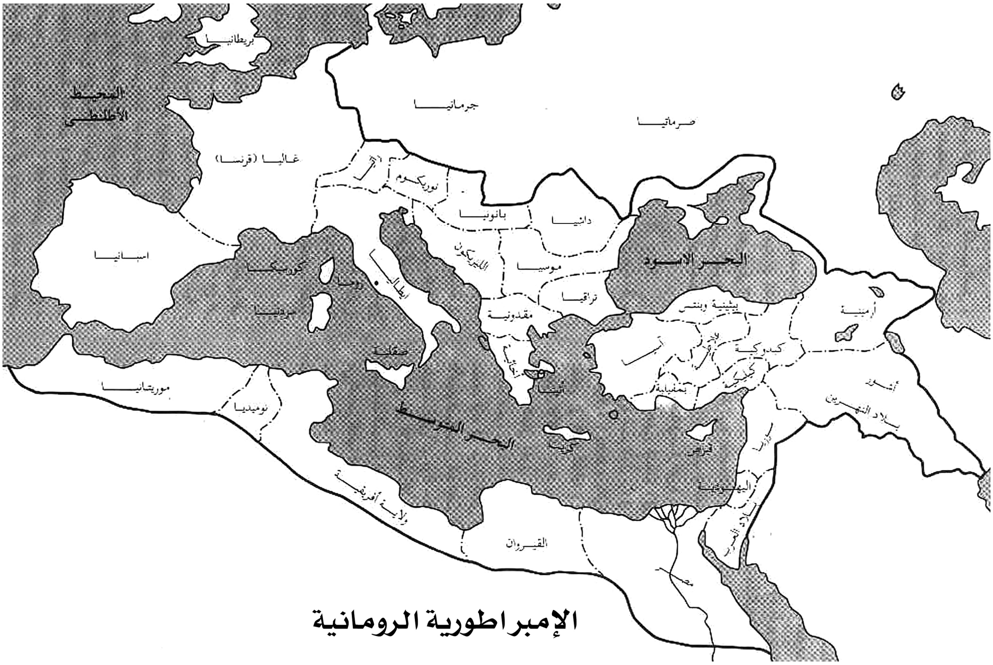

الإمبراطورية الرومانية

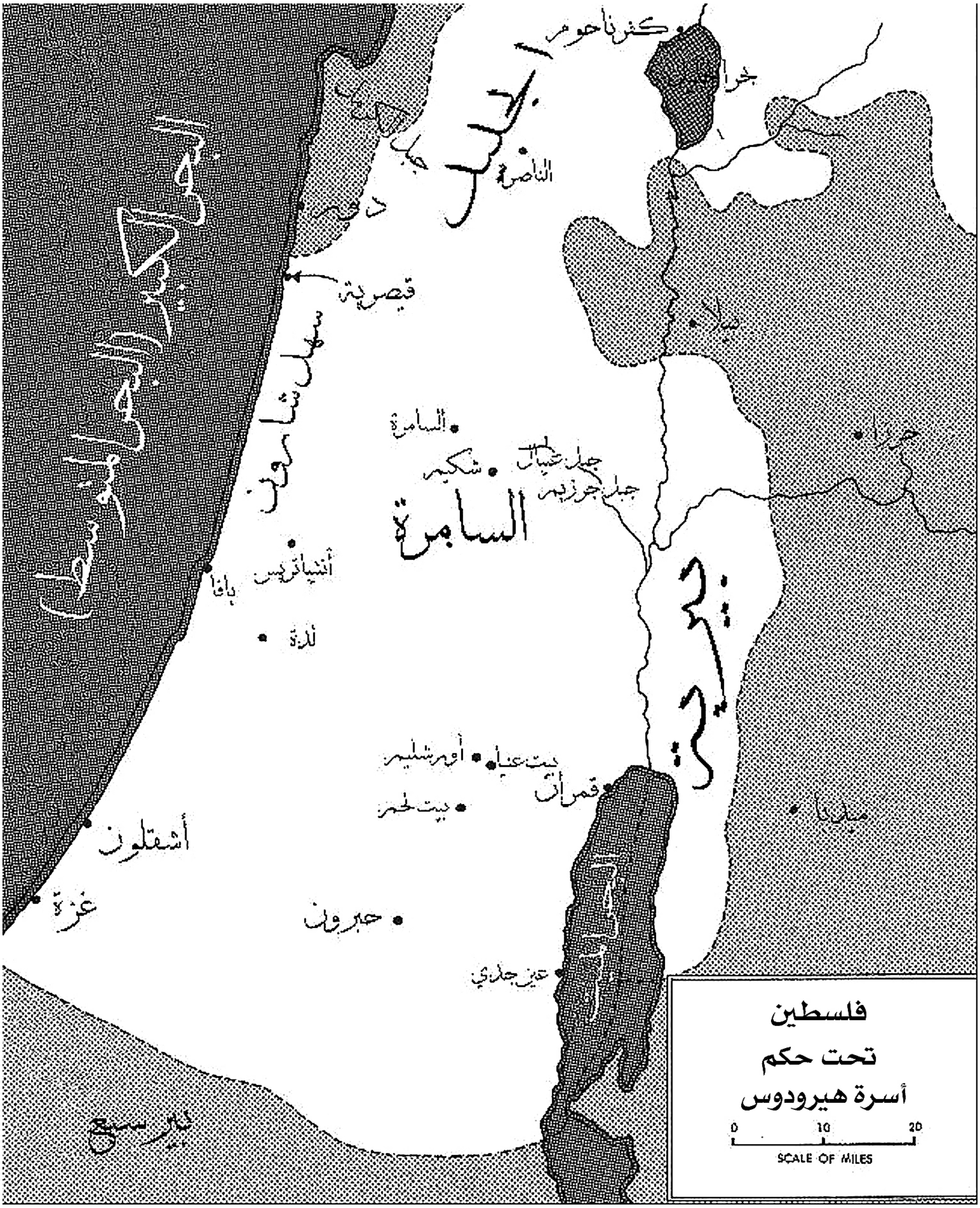
كفرناحوم
الجليل
الناصرة
دور
قيصرية
سهل شارون
السامرة
شكيم
جبل عيبال
جبل جرزيم
السامرة
بيلا
أنتيباتريس
يافا
لدة
أورشليم
بيت عنيا
قمران
بيت لحم
ميدبا
أشقلون
غزة
حبرون
عين جدي
بئر سبع
فلسطين
تحت حكم
أسرة هيرودوس
0 10 20
SCALE OF MILES

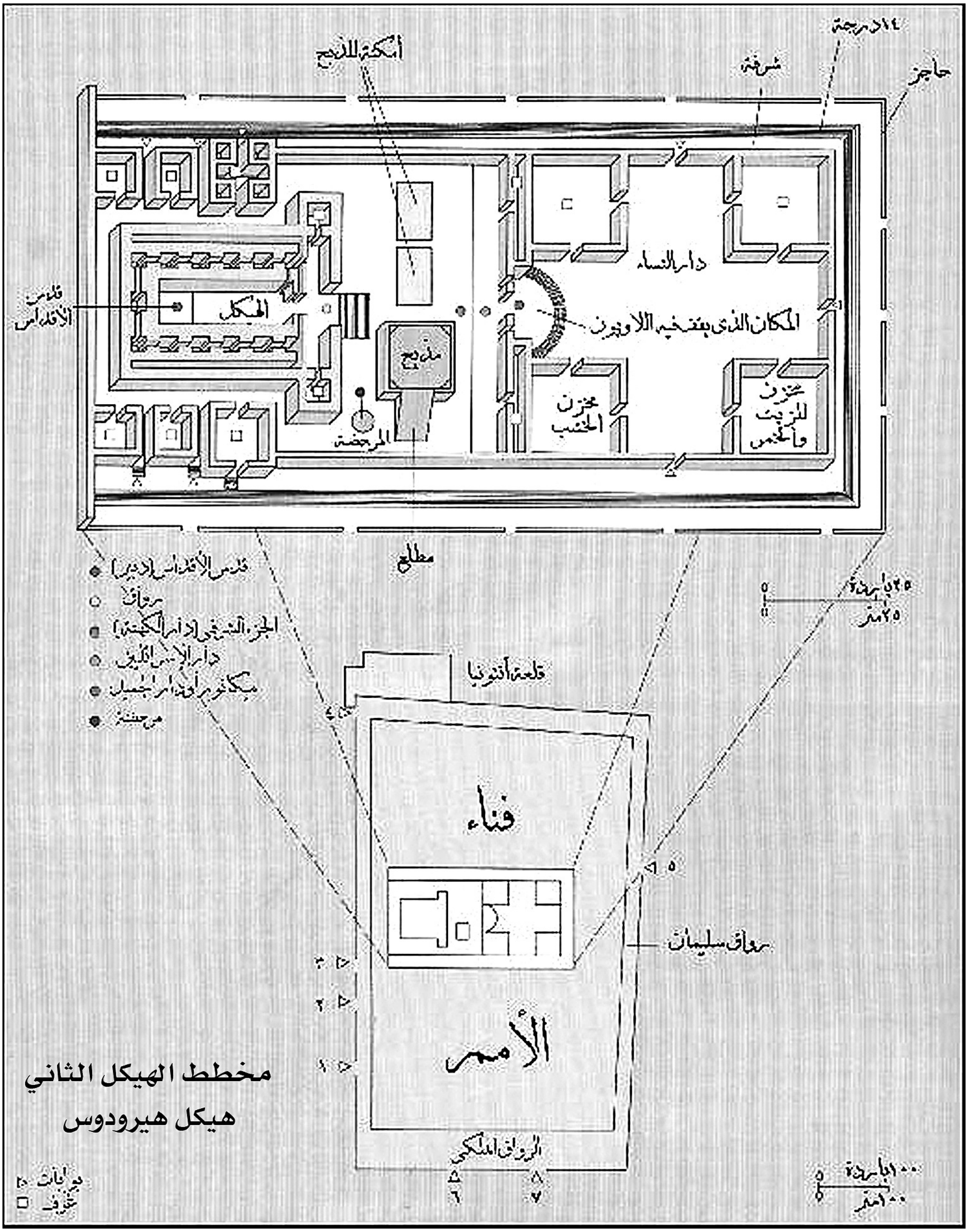

مخطط الهيكل الثاني
هيكل هيرودوس